تأويل أفعال القلوب وأثره في أداء المعنى الدلالي
(تنظيرًا وتطبيقًا)

د/ عبيد بن أحمد بن عبيد المالكي (*)

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، أمَّا بعد:

فتُعدُّ دراسة أفعال القلوب محورًا مهمًّا في البحث النحوي؛ إذ تشكِّل هذه الأفعال جزءًا لا يتجزأ من البِنية اللغوية، وتُسهم في بناء المعاني وإيصال الفَهم الدقيق للنصوص؛ ومع بساطتها، فإنها تحمل في طِياتها عمقًا دلاليًّا يُحدد طبيعة العلاقة بين المفعولَيْن، وينسجم مع مدى اليقين أو الشك المعبَّر عنه في النص.

وأفعال القلوب تحمل دلالة خاصة وعميقة تتعلق بالمشاعر والاعتقادات الداخلية للإنسان، وقد أثارت هذه الأفعال اهتمامَ النحاة واللُّغويين واللسانيين على مرِّ العُصور؛ لأنها باختصار تمثل نُقطة تحوُّل في فهم اللغة وتحليلها؛ فهي تتميز بطبيعتها الفريدة في اللغة العربية؛ ومن ثمَّ تعبر عن حالات نفسية وعواطفية متعدِّدة، مثل الاعتقاد، واليقين، والشك، والظن. وتؤدِّي –مِن ثَمَّ– دورًا محوريًّا في بِناء الجُمل النحوية وتحديد مدى صحة الفَهم والتفسير اللغوي.

وينبع اختيار هذا الموضوع للبحث من أهمية معرفة تأثير تأويل أفعال القلوب في تحديد المعنى وتكوينه، ومن ضرورة فَهم دورها في سِياق الجملة النحوية؛ فهي لا تقتصر على الإشارة إلى حالة معينة من اليقين أو الشك، بل تتجاوز ذلك لتطرح تساؤلات عميقةً عن كيفية تأثيرها في تفسير النصوص

(*) أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الباحة.

وفهمها، ويظهر أثَر دلالة أفعال القلوب في المعنى بوضوح في تحديد نوعية العلاقة بين المفعولين، وتوجيه الانتباه إلى مدَى اليقين أو الشك المتعلق بالحدَث المتعلق بهذه الأفعال، ومن ثَمَّ تنطلق أهمية هذا البحث في تحليل علاقة أفعال القلوب بين مكونات الجملة النحوية ودلالتها اللغوية، وكيفية استخدامها لبناء المعاني وتوجيه الفهم اللغوي.

وأمَّا إشكاليات البحث فتتجلَّى في صعوبة تحديد دلالة أفعال القلوب في السياقات المختلفة، وتحليل تأثيرها على المعنى بشكل دقيق ومتناقض في بعض الأحيان، كما تعتري البحث تحديات منهجية تتعلَّق بطرق التحليل والتفسير النحوي، وكيفية تطبيق النظريات الدلالية على دراسة هذه الأفعال بشكل شامل ومفصل، على حين يُثير تأثير أفعال القلوب في أداء المعنى تساؤلات فلسفية ودلالية، حيث يتعين علينا فَهم ما إذا كانت هذه الأفعال تعبر عن الواقع بشكل ثابت، أم تتغير حسَب السياق والظروف، وهذا يُشكل تحديًا كبيرًا في دراسة النحو العربي وتحليله.

وقد اعتمد البحث على منهج الاستقراء؛ بغرض تتبع معاني أفعال القلوب في السياقات المختلفة، ثم المنهج الوصفي التحليلي في معالجة هذه السياقات والخروج بالنتائج منها.

هذا، وقد جاء هذا البحث في مقدِّمة، وخمسة مطالب، وخاتمة، وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها بيان أهمية البحث وأسباب اختياره، وإشكاليات البحث وتساؤلاته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخُطته.

المطلب الأول: تعريف أفعال القلوب.

المطلب الثاني: عمل أفعال القلوب.

المطلب الثالث: أفعال القلوب بين المعنى المعجمي والمعنى الدلالي.

المطلب الرابع: أثر السياق في تحديد معاني أفعال القلوب.

المطلب الخامس: أثر تأويل أفعال القلوب في أداء المعنى الدلالي: نماذج قرآنية مختارة.

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث، وتوصياته.

الفهارس، وتشمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

الدراسات السابقة:

١- (محمد أحمد خضير) دراسة بعنوان: أفعال القلوب بين القاعدة والاستعمال (٢٠٠٤)؛ حيث ترمي هذه الدراسة إلى الوقوف على الشواهد التي جرى فيها استعمال أفعال القلوب، اعتمادًا على منهج الاستقراء، ومحاولة تحليل هذه الشواهد؛ لمعرفة مدى انطباق القواعد النحوية واتساقها مع الاستعمال اللغوي، وتشترك مع الورقة البحثية الحالية في الاهتمام بالسياق الاستعمالي، لكنها أغزر وأكبر، وليس فيها تتبع لمصطلح "أفعال القلوب" كما في الورقة الحالية.

٢- (مصطفى هاتف بريهي) دراسة بعنوان: دلالة أفعال اليقين والرجحان عند النحويين (٢٠١٦)؛ حيث أصَّلت الدراسة لمصطلحي اليقين والرجحان، وتتبعته بدءًا بسيبويه، وانتهاء بالمحدثين، عن طريق المنهج الاستقرائي، ثم حددت الدراسة المصطلح الأقرب إلى هذه الأفعال، من حيث الدلالة، هذا، وبيَّنت الدراسة دلالة هذه الأفعال، وعملها، وخصائصها، وتوصلت الدراسة إلى أنَّ استعمال مصطلح "الرجحان" أولى من مصطلحي "الشك" و"الظن"، وأن لكل فعل من أفعال اليقين والرجحان دلالتين؛ إحداهما معجمية ونحوية، والأخرى سياقية، وتشترك مع الورقة البحثية في التفريق بين دلالتي أفعال القلوب المعجمية والسياقية، والبحث

فيهما، لكنها تختلف معها في اعتمادها مصطلحي اليقين والرجحان، والبحث فيهما، أما الورقة البحثية الحالية فقد بحثت في مصطلح "أفعال القلوب".

٣- (خالد محمد إغويلة) دراسة بعنوان: الإلغاء والتعليق في أفعال القلوب وعلاقته بالمعنى (٢٠٢٠)؛ حيث هدفت الدراسة إلى معرفة سبب الإلغاء في عمل أفعال القلوب أهو لفظي أم معنوي، واستخدمت لذلك المنهج الوصفي، وانتهت إلى طغيان الجانب اللفظي أو جانب العامل في درس النحويين لعمل أفعال القلوب، وأن العربيَّ إنما يُراعي المعنى الذي هو غاية المتكلم، وتشترك مع الورقة البحثية الحالية في عرض مقالات النحويين في الإلغاء والتعليق، وتفترق معها في غرض الدراسة؛ حيث ترمي -من خلال عرض شواهد الإلغاء والتعليق- إلى بيان أن الأساس المراعَى في الكلام هو المعنى، بينما ذكرت الورقة الحالية الإلغاء والتعليق عرضًا ضمن خصائص أفعال القلوب.

هذا، وأسأل الله تعالى أن أوفَّق إلى تقديم ما يفيد وينفع، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المطلب الأول

تعريف أفعال القلوب

هذا المصطلح باعتبار تركيبه الإضافي مركب من كلمتين الأولى: أفعال. والثانية: القلوب.

فالفعل لغة: "كِنَايَة عَن كل عَمَلٍ مُتَعَدٍّ أَو غير مُتَعَدٍّ"[(١)]. وَقيل: "هُوَ الهَيئَةُ الهَيئَةُ العارِضَةُ للمُؤَثِّرِ فِي غيرِه بسببِ التأثيرِ أوّلًا"[(٢)].

واصطلاحا: كلمة دلت على معنى في نفسها، مقترنة بزمن معين[(٣)].

والقلوب: جمع قلب، "والقلب هو: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾[ق:٣٧]: أي عقل"[(٤)].

وفي اصطلاح النحاة: لا نجد للنحاة تعريفًا محددًا لها وإنما نجدهم قد اعتنوا ببيان هذه الأفعال من حيث وظيفتها وعملها، لا من حيث النظر لمعناها مع اختلافهم في عددها وحصرها، ولم يضعوا لها اسما لكي يقدموا لنا تعريفًا لها،

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، (٢/ ١١٦)؛ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ، مادة (ف. ع. ل).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، الناشر: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥- ١٤٢٢هـ= ١٩٦٥- ٢٠٠١م، مادة (ف. ع. ل).

(٣) شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي، ت: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة– القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، (ص: ٩٥).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، مادة (ف. ع. ل).

فنجد أن هذا المصطلح قد ظهر عند متأخري النحاة كالزمخشري[١]، أما النحاة المتقدمون فلم يجر هذا المصطلح على ألسنتهم[٢]، فقد ذكر سيبويه أفعال القلوب بقوله: "هذا باب الفاعل الذي يتَعدّاه فعلُه إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر. وذلك قولك: حَسِبَ عبد الله زيدًا بكرًا، وظن عمرو خالدًا أباك، وخالَ عبدُ الله زيدًا أخاك. ومثل ذلك: رأى عبدُ الله زيدًا صاحبنَا، ووجدَ عبدُ الله زيدًا ذا الحِفاظ"[٣].

وسماها المبرد أيضًا بنفس الاسم الذي سماها به سيبويه، إلا أنه قال عنها أيضًا: إنها أفعال لم تصل منك إلى غيرك[٤].

وبالإمكان أن نقول في تعريفها بأنها: أفعال من أخوات ظنَّ الناصبة لمفعولين، دالة على معنى يعود إلى قلب الإنسان كالعلم والظن.

سبب تسميتها بأفعال القلوب:

لم يتعرَّض النحاة القدامى لهذه التسمية، كما ذكرنا، بل كان تعريفهم يدور حول الشك واليقين، والعلم والظن، أما في القرن السادس الهجري، فقد اتسعت فيه

---

(١) ينظر (ص: ٨) من البحث ففيه فضل بيان.

(٢) بذلتُ قدْر الوسع في البحث فلم أجد أحدًا من متقدِّمي النحاة ذكر هذا المصطلح، ولكن بدأ جريان ذِكره في زمن السيرافي في شرحه الكتاب؛ فقد ذكَره في أربعة مواطن، ولكنه لم يُبوِّب له بابًا منفصلًا في النحو. ومن ذلك قوله: "وإنما يقع قبْله من الأفعال ما كان من أفعال القلوب، نحو: العلم، والظن، والشك، والمبالاة"، شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي، ت: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٨م (١/ ٤١٤). وقوله: "واعلم أن هذه الأفعال التي يقع الاستفهام بعدها إنما هي: أفعال القلوب من علم، وظنّ، وفكر، وخاط"، شرح كتاب سيبويه (٢/ ١٣٥).

(٣) الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، (١/ ٣٩).

(٤) المقتضب، للمبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب- بيروت (٣/ ٩٥).

معاني الألفاظ بفضل علوم القرآن فأكسبت اللغة العربية شفافية واتساعًا، فنجد الزمخشري الذي أطلق على هذه الأفعال أفعال القلوب، ولعله أول من أطلق عليها هذا المصطلح(١)، وتبعه على ذلك متأخرو النحاة، وأشار فيها إلى معاني الشك واليقين، حيث يقول: "أفعال القلوب، عددها سبعة: وهي سبعة: ظننت وحسبت وخلت وزعمت وعلمت ورأيت ووجدت، إذا كنّ بمعنى معرفة الشيء على صفة"(٢).

وبعد ذلك تكلم العلماء عن سبب تسمية هذه الأفعال بهذا الاسم، فقال **عماد الدين الملك المؤيد:** "وإنّما سمّيت أفعال القلوب، لأنّ المفعول الثاني فيها محكوم به على الأوّل والحكم على الشيء أمر عقلي، فعبّروا عن ذلك بالقلب"(٣). وأما التعليل المشهور لهذه التسمية، فقد ذكره ابن هشام الأنصاري بقوله: "وإنما قيل لها ذلك لأن معانيها قائمة بالقلب"(٤).

---

(١) وجدت أن ابن الوراق النحوي في كتابه علل النحو ذكر هذا الاسم لهذه الأفعال، فلعله أول من أطلق هذا الاسم عليها، لكن في تقسيمه لها بعض الاضطراب. ومن المشكلات أني وجدته أثبت قولًا ليونس بن حبيب فيه ذكر هذا المصطلح، فقال: "كَمَا أَلغوا أَفعَال الْقُلُوب". ينظر: علل النحو، لابن الوراق، ت: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م (ص٤٢٤). ولكنني لم أجد أحدا غيره عزى هذا القول ليونس ففي هذا القول شيء من اللبس.

(٢) المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، ت: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٣م، (ص٣٤٥).

(٣) الكناش في فني النحو والصرف، لعماد الدين إسماعيل بن علي، الملك المؤيد، ت: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م، (٢/ ٣٤).

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية– صيدا – بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، (٢/ ٢٩).

وهذا التعليل موافق بشكل ما لقول المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦].

قال القرطبي: "أي عن درك الحق والاعتبار. وقال قتادة: البصر الناظر جعل بُلْغةً ومنفعة، والبصر النافع في القلب"[١].

قال أبو حيان: "وإسناد العقل إلى القلب يدل على أنه محله، ولا ينكر أن للدماغ بالقلب اتصالًا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ"[٢].

وقيل: سميت كذلك؛ لأنها أفعال قلبية باطنة لا ظاهرة حسية مثل ضرب وأكل ومشى[٣]،

عدد أفعال القلوب:

اختلف العلماء في عد أفعال القلوب؛ فعدَّها سيبويه سبعة في باب "الفاعل الذي يتَعدّاه فعلُه إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر" وهي: (حسب، ظن، خال، رأى، وجد، علم، زعم)[٤]، وكذا ابن السراج في الأصول في النحو[٥]. ولكن خالفهم المبرد في كتابه المقتضب، فجعلها أربعة، وهي: علم، ظن، حسب، خال[٦].

---

[١] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م (١٢/ ٧٧).

[٢] البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ (٧/ ٥٢١).

[٣] معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م (٢/ ٦).

[٤] الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٩).

[٥] الأصول في النحو، لابن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، (١/ ١٨٠).

[٦] المقتضب، للمبرد، (٣/ ٩٥).

ثم جاء الزمخشري بعدهم وعدَّها سبعة أفعال[١]، وتبِعه على ذلك ابن الحاجب[٢]. أما ابن مالك فإنه عدها ثلاثة عشر فعلًا، فأضاف إليها: (حجا)، و(عدَّ) -متبعًا في ذلك الكوفيين، وأنكره البصريون- و(جعل) بمعنى الاعتقاد، و(هبْ)، و(تعلَّم)، و(درى)[٣]. وعلى هذا جرى عد شراح الألفية لهذه الأفعال.

أقسام أفعال القلوب:

لقد اختلف العلماء في تقسيم هذه الأفعال، فقسمها ابن يعيش إلى ثلاثة أقسام: العلم، والظن، والاعتقاد. حيث يقول: "الأفعال الدالة على هذه الأمور سبعةٌ: "علمت"، و"رأيت"، و"وجدت"، و"ظننت"، و"حسبت"، و"خلت"، و"زعمت". فالثلاثةُ الأول متواخية؛ لأنها بمعنى العلم، والثلاثةُ التي تَلِيها متواخية؛ لأنها بمعنى الظن، و"زعمت" مفردٌ؛ لأنه يكون عن غير علم وظن، والغالبُ عليه القول عن اعتقاد"[٤].

أما الرضي فقد ذهب في شرحه إلى تفصيل أدق، حيث جعلها على أضرب، إما للظن فقط، وهي: حجا، وخال، وحسب، وهب غير المتصرفة. وإما لليقين فقط، وهي: علم بمعنى عرف، ودرى بمعنى علم، وتعلم بمعنى اعلم. وإما للاعتقاد، وقسمه على أنواع: الجازم في شيء أنه على صفة معينة، سواء كان مطابقًا للواقع أم لا، وهو: رأى، إن كان بالمعنى المذكور ووليته الاسمية المجردة.

---

[١] المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، (ص: ٣٤٥).

[٢] الكافية في علم النحو، لابن الحاجب، ت: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب- القاهرة، ط: الأولى، ٢٠١٠ م (ص٤٧).

[٣] ألفية ابن مالك، ت: عبد المحسن بن محمد القاسم، ط: الرابعة، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م، (ص: ١٦٢).

[٤] شرح المفصل، لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (٤/ ٣١٨).

وإما للقول بأن الشيء على صفة بغير وثوق، وإما لإصابة الشيء على صفة واحدة، وهو: وجد، وألفى، وعدَّ[1].

أما ابن مالك فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام تبعًا لفائدتها في الخبر ظنًّا أو يقينًا أو كليهما، فقال: الأول للظن، وهي: حجا يحجو، لا لغلبة، ولا قصد، ولا رد، ولا سوق، ولا كتم، ولا حفظ، ولا إقامة، ولا بخل، ويقصد ابن مالك –رحمه الله– أن لـ (حجا) استعمالين آخرين هي في أحدهما: متعدية إلى مفعول واحد، وفي الآخر لازمة، فالأول أن تكون بمعنى غلب في المحاجاة، وبمعنى قصد، رد، وساق، وكتم، وحفظ. والثاني أن تكون بمعنى أقام وبخل[2].

وأما ابن هشام فإنه قسمها إلى أربعة أقسام: أحدها: ما يفيد في الخبر يقينًا، وهو أربعة: وجد، وألفى، وتعلَّمْ، بمعنى اعلَمْ، ودرى. والثاني: ما يفيد في الخبر رجحانًا، وهو خمسة: جعل، وحجا، وعدَّ، وهب، وزعم. والثالث: ما يَرِدُ بالوجهين، والغالب كونه لليقين، وهو اثنان: رأى، وعلم. والثالث: ما يَرِدُ بالوجهين، والغالب كونه لليقين، وهو اثنان: رأى، وعلم، والرابع: ما يَرِدُ بهما، والغالب كونه للرجحان، وهو ثلاثة: ظن، وحسب، وخال[3].

---

[1] شرح الرضي على الكافية، للرضي الإستراباذي، ت: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: الأولى، (ق٢/ م٢/ ٩٨٣– ٩٨٧).

[2] شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، ت: عبد الرحمن السيد – محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، (٢/ ٧٧).

[3] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، (٢/ ٣٠).

المطلب الثاني

عمل أفعال القلوب

بالنظر إلى الأفعال التي تدخل على الجمل نجدها نوعين: نوعًا مقصود منه حكاية لفظ الجملة، نحو: (قلت ضرب زيد عمرًا) و (قلت زيد ضارب عمرًا) ولما كان الغرض من هذا النوع حكاية لفظ الجملة لم يعمل الفعل فيها، فعلية كانت الجملة أم اسمية؛ لأنه يجب مراعاة المحكي.

وأما النوع الثاني ومنه موضوع بحثنا أفعال القلوب: فإن المقصود منه معنى الجملة دون لفظها، والمراد بمعنى الجملة مضمونها؛ لذلك لا بد لهذا الفعل أن يعمل في الجملة، ولا يجوز أن تكون هذه الجملة فعلية؛ لأن الفعل لا يعمل في الفعل، لذا وجب أن تكون اسمية.

والفعل الداخل على الجملة الاسمية إما أن يطلب منها فاعلًا، وإما أن يطلب مفعولًا، فإن طلب فاعلًا، فهذا باب كان وأخواتها، فإنها ترفع المبتدأ تشبيهًا له بالفاعل وتنصب الخبر تشبيهًا له بالمفعول، مثل: كان محمد مجتهدًا، والفاعل الحقيقي هو مصدر الخبر مضافًا للمبتدأ، أي كان اجتهاد محمد أي حدث ووقع.

وأما إذا طلب الفعل مفعولًا، فهذا باب أفعال القلوب والتصيير، فينصب جزأي الجملة إن تجردت من (إن) لأن المفعول الحقيقي هو مصدر الجزء الثاني مضافًا إلى الجزء الأول، إذ إن اعتماد هذه الأفعال على المفعول الثاني، وهذه الأفعال لما كانت واقعة على المبتدأ والخبر، ومعناها متعلق بهما جميعًا لا بأحدهما، فتعلقه بالخبر لأنه موضع الفائدة، وأما تعلقه بالمبتدأ فللإيذان بصاحب الأمر المشكوك فيه أو المتيقن منه؛ لذلك وجب أن تنصبهما جميعًا، لأن الفعل إذا اشتغل بفاعله فرفعه كان جميع ما يتعلق به منصوبًا؛ لأنه يكون فضلة، ففي مثل: ظننت محمدًا مجتهدًا فإن المعنى الحقيقي المراد هو: ظننت اجتهاد محمد، لأن المفعول الحقيقي هو المفعول الثاني مضافا إلى المفعول الأول كما أوضحنا.

فعمل هذه الأفعال: أنها تنصب مفعولين، وهذا واجب فيها، إذا تقدمت على المبتدأ والخبر، وهذا هو مذهب البصريين، بشرط ألا يتقدم عليها ما له الصدارة في الكلام من الأدوات، خلافًا لرأي الكوفيين[1].

إلغاء أفعال القلوب

يرى البصريون أنه إذا توسطت هذه الأفعال بين معموليها أو تأخرت فإنها لا تعمل كما في نحو: محمد ظننت مجتهد، ومحمد مجتهد ظننت. إلا أن الفراء أجاز الإعمال مع التوسط[2].

قال ابن يعيش: "فأما إذا توسطت، أو تأخرت، فإنه يجوز إلغاؤُها؛ لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها. فإذا تقدمت الجملة أو شيء منها، جرت على منهاجها ولفظها قبل دخول الشك، وصُيّر الفعل في تقدير ظرف له، كأنك قلت: "زيدٌ منطلقٌ في ظنّي"، مع أن الفعل يضعف عملُه إذا تقدّمه معموله بإبعاده عن الصدر. ألا ترى أن قولك: "ضربتُ زيدًا" أقوى في العمل من قولك: "زيدًا ضربت"؛ ولذلك يجوز تقويةُ الفعل بحرف الجرّ إذا تقدّم معموله عليه، فتقول: "لزيد ضربت"، ولا يحسن ذلك مع تأخُّره؟ فكذلك إذا قلت: "زيدٌ أظن منطلقٌ" يجوز الإعمال والإلغاء، نحو قولك: "زيدٌ حسبت منطلقٌ"، و"زيدًا حسبت منطلقًا"، و"زيد منطلق حسبت". فإذا ألغيت، كان الفعل في تقدير ظرف متعلق بالخبر، كأنك قلت: "زيد منطلق في حِسْباني وظنّي". وإذا أعملت، كان الفعل في حكم الأفعال المؤثّرة، نحو: "أبصرت"، و"ضربت"، و"أعطيت".

---

[1] شرح المفصل، لابن يعيش (٤/ ٣٢٩).

[2] التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، ت: حسن هنداوي، دار القلم بدمشق (الأجزاء ١ – ٥) – دار كنوز إشبيليا بالرياض (الأجزاء ٦ – ٢٢)، ط: الأولى، (١٤١٨ – ١٤٤٥ هـ) = (١٩٩٧ – ٢٠٢٤ م) (٦/ ٦٦).

واعلم أنه كلّما تَباعد الفعل عن الصدر، ضعُف عمله، فإذًا قولك: "زيدًا حسبت قائمًا" أقوى من قولك: "زيدًا قائمًا حسبت"؛ و"زيدًا قائمًا حسبت" أقوى من قولك: "زيدًا قائمًا اليوم حسبت". كلّما طال الكلام ضعُف الإعمال مع التأخر"[١].

ويتضح لنا من كلام ابن يعيش أن الإلغاء جائز والإعمال أحسن منه مع التوسط، ولا يجوز بأفضلية إلا عند تأخير العامل؛ لأن التأخير يضعفه، ولم يرد في القرآن فعل من هذه الأفعال إلا مقدمًا؛ وذلك للعناية به.

ومن أمثلة الإلغاء:

أرجو وآمل أن تدنو مودّتها ... وما إخال لدينا منك تنويل

فقد حصل لـ "إخال" بتقدم نافيه توسط سهل إلغاءه[٢].

ومثله قول جرير:

أبالأراجيز يَابْن اللؤم توعدني ... وَفِي الأراجيزِ خلتُ اللؤمُ وٱلْخَوَرُ

الشاهد في البيت أنه ألغى (خلت) ولم يعملها؛ لأنها توسطت الجملة، ورفع (اللؤم) بالابتداء وعطف عليه (الخور) و (في الأراجيز) خبر المبتدأ و (خلت) ملغاة من طريق اللفظ وليست بملغاة من طريق المعنى[٣].

---

[١] شرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٣٢٩).

[٢] شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م (٢/٥٥٧– ٥٥٨).

[٣] شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد السيرافي، ت: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م (١/ ٢٦٩).

تعليق أفعال القلوب

المراد بالتعليق: إبطال العمل لفظًا لا محلًّا[١]؛ لاعتراض ما له الصدارة في الكلام بينها وبين معمولها.

وسمي تعليقًا؛ لأنه إبطال في اللفظ مع تعلق العامل في المحل، وتقدير إعماله، والمانع من إعماله في اللفظ اعتراض ما له صدر الكلام، "وما له الصدارة في الكلام هو: حرف النفي والابتداء، ولام القسم، وحروف وأسماء الاستفهام"[٢].

وقيل وجه تسميته تعليقًا أن العامل ملغى في اللفظ عامل في المحل؛ فهو عامل لا عامل، فسمي معلقًا أخذًا من المرأة المعلقة التي لا مزوجة ولا مطلقة؛ ولذلك قال ابن الخشاب: لقد أَجَاد أهل هَذِه الصِّنَاعَة فِي وضع هَذَا اللقب لهَذَا الْمَعْنى[٣].

"وذهب ثعلب والمبرد وابن كيسان إلى أنه لا يعلق من الأفعال إلا ما كان بمعنى العلم، وأما الظن ونحوه فلا يعلق، ورجحه الشلوبين ووجهه إدريس بأن آلة التعليق في الأصل حرف الاستفهام وحرف التأكيد، أما التحقيق فلا يكون بعد الظن؛ لأنه نقيضه، وأما الاستفهام فتردد، والظن أيضًا تردد فلا يدخل على مثله، وذهب بعضهم إلى أن القَسَم مقدر بعد هذه الأفعال مع جميع المعلقات المذكورة وأنه هو المعلق لا هي، وقوم إلى أنه مقدر في إن ولا، وقوم إلى أن القسم المضمر وجوابه في موضع معمول الفعل"[٤].

---

[١] شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للأُشْمُوني، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨مـ (١/ ٣٦٣).

[٢] التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري، ت: عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، ط: الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، (٢/ ١٧٩– ١٨٢).

[٣] شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للأشموني (١/ ٣٧١).

[٤] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، (١/ ٥٥٧).

ومن أمثلة التعليق، قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود: ٧٩].

وقوله سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

المطلب الثالث

أفعال القلوب بين المعنى المعجمي والمعنى الدلالي

المعنى المعجمي: هو المعنى الذي تدلّ عليه الكلمة مفردة كما هو في المعجم[١].

المعنى الدلالي: هو معنى الكلمة في ضوء السياق الواردة فيه[٢].

١- **ظن:** إن المعنى المعجمي واللغوي للفعل (ظن) يدور حول الشك والتردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم[٣]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢]. فهم يشكون في أمر الساعة، ويستبعدون وقوعها، إن لم يكونوا منكرين لها أصلًا، ويؤكد ذلك خاتمة قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

وقد يخرج الفعل (ظن) عن معناه المعجمي، وهو الشك والتردد، إلى معنى يضاد هذا ويناقضه، فيدل على اليقين أو العلم أو الرجحان، والمسؤول عن دلالة هذا الفعل على معناه المراد هو السياق، الذي بيده مقاليد الدلالة، وإصابتها هو قصد المتكلم.

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة، ١٩٨٥م، (ص: ٣٩).

[٢] اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، (ص: ٣٩).

[٣] القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م مادة (ظ. ن. ن).

ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] "أَراد: الذين يتيقنون ذلك، فلم يذهب وهْمُ عاقل إلى أَنَّ الله عز وجل يمدح قومًا بالشكّ في لقائه"(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، و﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] وهذا كلّه في معنى (اليقين)(٢).

ومثل ذلك قول الشاعر:

رب أَمر فرَّجته بعزيم ... وغيوب كشَّفتها بظنون

أَي: بِيَقِين(٣).

٢- **حسب:** يدور المعنى المعجمي لهذا الفعل حول العد والإحصاء، قال ابن فارس: ح س ب: (حسبه) عده وبابه نصر وكتب و(حِسابًا) أيضًا بالكسر و(حُسبانًا) بالضم والمعدود (محسوب)(٤).

وأما معناها الدلالي فإنها تدور حول معنى الظن أو الرجحان، ويختلف معناها باختلاف السياق الواردة فيه.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨] أي: "ويظنون أنهم في أيمانهم

---

(١) الأضداد، لابن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (ص: ٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، ت: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م (ص: ١٨٧).

(٣) اتفاق المباني وافتراق المعاني، لسليمان بن بنين الدقيقي المصري، ت: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار – الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م (ص٢١٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٢/ ٥٩).

وحلفهم بالله كاذبين، على شيء من الحق"[1]. ولأجل ظنهم هذا كذَّبهم الله تعالى في آخر الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾"فيما يحلفون عليه"[2].

وقد يأتي هذا الفعل لليقين، كما قال الشاعر:

حَسِبْتُ التُّقَى والجودَ خيرَ تجارةٍ ... رَباحًا إذا ما المرءُ أَصبح ثاقِلا

وقال آخر:

شهدْتِ وفاتوني وكنتُ حَسِبْتُني ... فقيرًا إلى أَنْ يَشْهدوا وتَغِيبي

ف «حَسِب» في هذين البيتين لليقين، لأنَّ المعنى على ذلك[3].

٣- خال: من المعاني المعجمية لهذه الكلمة، الخيال والخيالة: الشخص، والطيف أيضًا، والخال: الذي يكون في الجسد، ويجمع على خيلان، والخال: أخو الأم، يجمع على أخوال، ورجل أخيل، أي كثير الخيلان، وكذلك مخيل ومخيول، مثل مكيل ومكيول[4].

وقد تطورت دلالة الكلمة، فصارت تدل على معان أخرى تختلف باختلاف السياق وموقعها من الكلم، فقد تأتي خال بمعنى ظن، ومن ذلك قول الشاعر:

إِخَالُكَ إِنْ لَمْ تَغْضُضِ الطَّرْفَ ذَا هَوًى ... يَسُومُكَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ مِنَ الوَجْدِ

---

[1] تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، (٢٢/ ٤٩١).

[2] تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩١).

[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (٣/ ٤٨٢).

[4] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة (خ. و. ل).

قوله: "إخالك" أي: أظنك[١].

وقد يأتي هذا الفعل بمعنى اليقين أو العلم، وذلك كقول الشاعر:

دَعَاني الغَوَاني عَمّهُنّ، وخِلتُني ... ليَ اسمٌ، فَمَا أُدْعَى بِهِ وَهْوَ أَوّلُ

في قوله: "وخلتني" فإن خال فيه بمعنى اليقين، والمعنى: تيقنت في نفسي أن لي اسمًا، وليس هو بمعنى الظن؛ لأنه لا يظن أن له اسمًا بل يتيقن ذلك[٢].

٤– علم: يدور المعنى المعجمي لهذا الفعل حول المعرفة بالشيء، فهو نقيض الجهل، قال ابن سيده: العِلْمُ: نقيض الْجَهْل، عَلِمَ عِلْمًا، وعَلُمَ هُوَ نَفسه، وَرجل عالمٌ وعلِيمٌ من قوم عُلَماء فيهمَا جَمِيعًا[٣].

ولقد تغير مدلول هذه اللفظة عن معناها المعجمي الأول، فأتت لمعانٍ أخرى، منها: اليقين، كقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] فاعلم هنا بمعنى تيقن واعتقد[٤].

٥– رأى: يدور المعنى المعجمي لهذه الكلمة حول الرؤية والنظر بالعين، قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ"[٥].

ولقد تغير مدلول هذه الكلمة، فلم يقف معناها على هذا الحد، بل تنوعت معانيها حسب مقتضى الكلام وسياق القول، فأتى الفعل (رأى) لمعانٍ منها:

---

[١] المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، لبدر الدين العيني، ت: علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م (٢/ ٨٣٩).

[٢] المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، لبدر الدين العيني (٢/ ٨٥١).

[٣] المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٢/ ١٢٤).

[٤] ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م (١/ ٣٦٧).

[٥] معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢/ ٤٧٢).

١- رأى البصرية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٢- وقد تأتي بمعنى علم، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: ١].

وكقول الشاعر:

تَقُوهُ أيُّها الفتيانُ إنّي ... رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا

رأيتُ اللهَ أكبرَ كلِّ شيء ... محاولةً وأكثرَهم جنودا[١]

وقد تأتي بمعنى ظن، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦- ٧]. أي: يظنونه ونعلمه[٢].

٣- وقد تكون بمعنى رأى الحلمية، كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦].

---

[١] تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام الأنصاري، ت: عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م (ص٤٢٥).

[٢] شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (١/ ٤٥٢).

المطلب الرابع

أثر السياق في تحديد معاني أفعال القلوب.

السياق هو بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه[١]، والأخذ به لازم، ودلالته معتبرة، ولا يصح الخروج عنه إلا بمقتضى دليل؛ إذ به يتبين مراد المتكلم، وتكشف مشكلات المعاني[٢].

ويؤدي السياق دورًا حاسمًا في فهم النصوص، فهو يشمل الظروف والمعلومات الخلفية التي تحيط بالنص، ويساعد في توجيه تفسيراتنا وفهمنا للمعاني المختلفة، ويُمكن تفصيل أثر السياق في فهم النص كما يلي:

– توجيه المعنى: يساعد السياق في توجيهنا نحو المعنى الصحيح للكلمات أو العبارات في النص.

– فهم الإشارات اللغوية: قد تحتاج بعض العبارات أو الكلمات في النص إلى سياق لفهمها بشكل صحيح، مثل الإشارات الضمنية أو الرمزية.

– توضيح العلاقات: يساعد السياق في توضيح العلاقات بين الأفكار والمفاهيم في النص، مما يجعل فهم النص أعمق وأوسع.

– تحديد الأهداف الكامنة: قد يساعد السياق في فهم الأهداف الكامنة وراء النص، مما يزيد من فهمنا للغرض والمغزى العميقين للكتابة.

– توجيه التفسيرات: يُمكن للسياق أن يوجه التفسيرات المختلفة للنص، ويساعد في اختيار التفسير الأدق والأكثر ملاءمة.

---

(١) معجم المصطلحات الأدبيَّة، لإبراهيم فتحي: المؤسسة العَرَبِيَّة للناشرين المتحدين، تونس، د. ت، (ص ٢٠١).

(٢) موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٩هـ– ٢٠١٧م، (١/ ٤٨٦).

– تحديد الفروق الثقافية: يساعد السياق في فهم الفروق الثقافية والتاريخية التي قد تؤثر على تفسير النص.

– توجيه الاستنتاجات: يساعد السياق في توجيه الاستنتاجات التي نقوم بها بناءً على المعلومات المقدمة في النص.

قال الطبري: "فغيرُ جائزٍ صرفُ الكلامِ عما هو في سياقِه إلى غيرِه، إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها، من دلالةِ ظاهرِ التنزيلِ، أو خبرٍ عن الرسولِ تقومُ به حجَّةٌ، فأما الدعاوَى فلا تتعذَّرُ على أحدٍ"[1].

قال ابن القيم: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"[2].

قال الشاطبي: "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة"[3].

وعلى هذا فالكلمات تختلف معانيها باختلاف السياق الذي وردت فيه، فنجد على سبيل المثال أفعال القلوب تختلف معانيها لاختلاف سياقات الكلام الواردة، فالفعل (رأى) من الممكن أن يكون بمعنى الرؤية العينية أو الرؤيا المنامية أو يأتي بمعنى العلم، أو غير ذلك، فتختلف معانيه باختلاف السياق ومواقع الكلم.

فإذا نظرنا إلى قول الشاعر:

---

[1] تفسير الطبري، (٧/ ٦٧٥).

[2] بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، ت: محمد لإسكندراني، عدنان درويش، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، (٤/ ٥٤٠).

[3] الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٣/ ٤١٩).

تَقُوةُ أيُّها الفتيانُ إنّي ... رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا

فإن الفعل (رأى) خرج عن معناه الأصلي الذي يدل على النظر والمشاهدة، ليصبح معناه (علمت)[١].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦]. فقد جاء الفعل (رأى) في الآية بمعنيين مختلفين، والذي يحدد معنى كل واحد منهما هو السياق ودلالة الحال، فالفعل الأول بمعنى الظنّ، والمعنى: يَظُنُّونَ البعثَ ممتنعًا، والفعل الثاني بمعنى العلم واليقين، والمعنى: ونَعْلَمُهُ واقعًا[٢].

وأما إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يوسف:٤٣]، فنجد أن الفعل (رأى) قد خرج عن دلالة معناه الأصلي، وخالف المعاني السابقة، فلم يأت بمعنى العلم أو الظن، وإنما (رأى) هنا حلمية[٣].

وبعد فيظهر من هذا أن فهم السياق وتحليله يُعدَّان جوهريين في تفسير النصوص بشكل دقيق وشامل، فالسياق ليس مجرد خلفية للنص، بل هو عنصر أساس يوجه فهمنا وتفسيرنا للمعاني والأفكار المطروحة، وبالاعتماد على السياق، نستطيع تجاوز الحروف والكلمات لنفهم الرسالة الحقيقية وراء النص، ومن هنا، تبرز أهمية العناية الكبيرة بالسياق ودراسته باستفاضة، لضمان فهمنا الصحيح والكامل للنصوص.

---

[١] تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام الأنصاري، (ص٤٢٥).

[٢] شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (١/ ٤٥٢).

[٣] إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لابن قيم الجوزية، ت: محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف– الرياض، ط: الأولى، ١٣٧٣هـ– ١٩٥٤م، (١/ ٢٨١).

المطلب الخامس

أثر تأويل أفعال القلوب في أداء المعنى الدلالي: نماذج قرآنية مختارة

لا يمكن الوقوف على جميع الآيات القرآنية التي وردت فيها أفعال القلوب وإلا لطال البحث جدًّا؛ لذلك سيُختار نماذج منها فقط؛ ليتضح من خلالها أثر تأويل أفعال القلوب في أداء المعنى الدلالي للنص القرآني.

١- ظن:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الشعراء: ١٨٦].

اختلف العلماء هنا في معنى الظن، فقيل: المرادُ القَطْعُ والجزم واليقين، وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ كَثِيرٌ، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦][1]؛

---

[1] التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م (٨-ب/ ٢٠٢)؛ اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م (٩/ ١٨٧).

لأنهم لما اعتقدوا كونه كاذبًا قالوا له: فأتنا بما تعدنا[١]. وقال الحسنُ والزَّجَّاجُ: "كان ظنًّا لا يقينًا، كفرُوا به ظانين لا متيقّنين، وهذا يَدُلُّ على أنَّ حصول الشَّكِّ والتَّجويز في أصول الدِّين يوجبُ الكفر"[٢].

فيما سبق يظهر سياق الآيات أن التكذيب في آيات الأعراف أشد منه في آيات الشعراء، والذي يوضح ذلك أنه في آيات الأعراف قال: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ بخلاف آيات الشعراء فإنه قال: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

فهناك فرق إذن بين القائلين، ففي الآيات الأولى قول الملأ الذين كفروا، والقائلون في الآيات الثانية مختلطون فإن فيهم الشديد التكذيب والقليل والإمعة والخائف فهو تكذيب مختلط لا يصل إلى تكذيب الذي كفروا خصوصا.

والذي يدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي أن فيهم قلة مؤمنة فهو نسب الكلام في آيات الشعراء إلى أصحاب الأيكة عموما بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة.

وبالنظر إلى السياق مرة أخرى نرى كيف تعقب الرسول كلام قومه بعد كل من الآيتين إذ يتبين لك ما ذكرته واضحًا، فإن هودا عليه السلام رد على قومه بآيات عدة: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ... ﴾ إلخ بخلاف آية الشعراء فإنه لم

---

[١] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (١٤/ ٣٠٢).

[٢] اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (٩/ ١٨٧).

يزد على قوله: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشعراء:١٨٨]، ومن هنا يتضح الفرق جليًّا بين التعبيرين[١].

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ١٠٢﴾[الإسراء: ١٠١- ١٠٢].

الظن هنا بمعنى العلم، وقد أكد علمه بسحر موسى بـ " إن " و " اللام "[٢].

وشتان ما بين الظنين ظنُّ فرعون إفك مبين، وظن موسى حق اليقين؛ لأنه بوحي من رب العالمين، أو من تظاهر أماراته[٣].

وفيه أيضا: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾[الحاقة: ٢٠].

الظن هنا بمعنى العلم واليقين[٤]؛ فقد حكى الزجاج عن بعض أهل اللغة: "أن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده، وإن كان قد قام في نفسك

---

[١] معاني النحو، لفاضل السامرائي (١/ ٣٤٨).

[٢] زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي (٨/ ٤٤٦٩).

[٣] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد الفاسي الصوفي، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ (٣/ ٢٣٩)

[٤] تفسير الطبري (٢٠/ ٤١٤).

حقيقة"[١]. "ولكنَّ العربَ لا تَسْتَعْمِلُ الظنَّ استعمالَ اليقين إلا فيما لم يَخْرُجْ إلى الحِسِّ والمشاهدةِ"[٢].

٢- حسب:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

جاء الفعل (حسب) في هذه الآية بمعنى ظنَّ، أي إنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء[٣].

قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

الفعل (حسب) جاء في هذه الآية بمعنى ظنَّ، فمعنى لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ أي لتظنوا أيها المسلمون أن المحرف المدلول عليه- باللَّي- أو المشابه من كتاب الله تعالى المنزل على بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام[١].

---

[١] معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م (١/ ١٢٦).

[٢] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس المعروف بالسمين الحلبي (١/ ٣٣٢).

[٣] التيسير في التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، ت: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، ط: الأولى، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (٣/ ٤٠٣)، تفسير القرطبي، للقرطبي (٣/ ٣٤١)، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للأشموني (١/ ٣٥٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[آل عمران: ١٧٨].

جاء الفعل حسب في هذه الآية بمعنى ظن، فالمقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: ولا تظنن[٢].

وقال سبحانه: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾[المائدة: ٧١]

جاء الفعل حسب في هذه الآية بمعنى العلم واليقين، وقيل: إنها بمعنى الظن والشك.

قال ابن السراج: "و(أَنْ) التي تنصب بها الأفعال تقع بعد رجوت وخفتُ؛ تقول: خفتُ أَنْ لا تفعلَ. فأما بعد حسبت وظننت فإنها تكون على ضربين: إنْ كان حسبانكَ قد استقر كانت مخففة من الثقيلة، وإن حملته على الشك كانت خفيفة كقوله: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[المائدة: ٧١]، تقرأ بالرفع والنصب، فمن

---

[١] تفسير الألوسي = روح المعاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ (٢/ ١٩٧).

[٢] تفسير الطبري (٦/ ٢٢٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م (٢/ ١١٧١)، شرح التسهيل، لمحمد بدر الدين الدماميني، ت: محمد بن عبد الرحمن المفدى، ط: الأولى، ابتداء من عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م (٤/ ١٤٩).

رفع فكأنه أرادَ وحسبوا أَنْ لا تكون لما استقر تقديرهم فصار عندهم بمنزلة اليقين وهذا مذهب مشايخنا"[١].

٣- علم:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠]؛ فالعلم هنا إنما يراد به الظن القوي، لأن القطع بإيمانهن غير متوصل إليه[٢]، فاستعمل العلم استعمال الظن مجازا[٣].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصف: ٥].

جاء الفعل (علم) في هذه الآيات كلها بمعنى اليقين وهو الغالب فيها[٤].

٤- رأى:

---

[١] الأصول في النحو، لابن السراج (٢/ ٢٠٩)، الأضداد، لابن الأنباري (ص٢١).

[٢] البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٤٨٢).

[٣] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس المعروف بالسمين الحلبي (١/ ٣٣٢).

[٤] شرح شذور الذهب، لشمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري القاهري الشافعي، ت: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٤ م (٢/ ٦٤١)، التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري (٢/ ١٦٠).

قال تعالى: ﴿ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[هود: ٢٧].

لقد اختلفوا في الرؤية هنا، فذهب بعضهم إلى أنها من رؤية القلب وهي بمعنى العلم، وقيل: هي رؤية بصرية، وقيل: هو من الرأي وهو غالب الظن[١].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾[الإسراء: ٦٠] الرؤية الأولى هي الحُلمية، والثانية هي البصرية، قَالَ ابنُ عَبّاس: "هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ"؛ فدَلّ ذلك على أنّه مصْدَر الحُلْمية والبَصَريّة[٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج: ٦٣].

فالظاهر: أن "تر" هنا من رأى بمعنى علم؛ لأن إنزال المطر وإن كان مشاهدًا بالبصر فكون الله هو الذي أنزله، إنما يدرك بالعلم لا بالبصر. فالرؤية هنا علمية عَلَى التحقيق[٣].

---

[١] التيسير في التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (٦/ ٣٧٩)، تفسير الكشاف، للزمخشري، ت: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م (٢/ ١١٣).

[٢] العدة في إعراب العمدة، لبدر الدين أبي محمد بن فرحون المدني، مكتب الهدي لتحقيق التراث، دار الإمام البخاري – الدوحة، ط: الأولى (٢/ ٤٠٦).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (٥/ ٨٠٧).

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾[الفيل: ١].

فالفعل رأى في هذه الآية بمعنى علم، يَا تُرَى هل كان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرًا في واقعة الفيل مشاهدًا لها بأم عينه، أم أنها أمر غيبي أوحاه اللَّه إليه وعلمه إياه؟

إنه من غير شك أمر غيبي، والرؤية هنا ليست رؤية حسية، بل رؤية عقلية وجدانية[١].

٥- وجد:

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [البقرة: ٩٦].

جاء الفعل (وجد) في هذه الآية بمعنى (علم)، وهو متعدٍّ إلى مفعولين[٢].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ۝٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤].

يحتمل الفعل (وجد) أن يكون بمعنى علم أو لقي[٣].

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد أبي منصور الماتريدي، ت: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م (١/ ٢٩٥).

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري (١/ ١٦٨)، تفسير الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (٣/ ٦٠٩).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٧/ ٤٠٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[الأعراف: ١٠٢]

جاء الفعل وجد بمعنى علم[١].

وأما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المجادلة: ٢٢]

فيحتمل أن يكون الفعل وجد بمعنى علم، وعليه فجملة ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾في محل النصب مفعول ثان لـ ﴿تَجِدُ﴾، وإن كان بمعنى صادف.. فجملة ﴿يُوَآدُّونَ﴾: حال من ﴿قَوْمًا﴾، لتخصصه بالصفة[٢].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ جاء الفعل (وجد) بمعنى علم وهو من أفعال القلوب متعدٍّ إلى مفعولين[٣].

---

[١] شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للأشموني (١/ ٣٥٢).

[٢] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، ت: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٢٩/ ٨٣).

[٣] الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط: الثانية، ١٤١٨ هـ (١٢/ ٢٣٢).

الخاتمة

بناءً على الدراسة التحليلية لأفعال القلوب، يمكن أن ألخص النتائج الرئيسة التي توصلت إليها فيما يأتي:

١. أفعال القلوب تمثل جزءًا أساسيًّا في النحو العربي، حيث تؤدي دورًا حاسمًا في توجيه الفهم اللغوي وتحديد المعاني بصورة دقيقة.

٢. يتنوع تأثير أفعال القلوب حسب السياق والظروف، مما يجعل من الضروري دراسة كل فعل على حدة وتحليله في سياقه المحدد.

٣. تظهر أفعال القلوب تفاعلًا وثيقًا مع بنية الجملة النحوية، حيث يتأثر موقع المفعولين بها بشكل مباشر مع هذه الأفعال.

٤. تباينت الآراء بشأن دلالة بعض أفعال القلوب، مما يشير إلى ضرورة المزيد من البحث والدراسة لفهمها بشكل أفضل.

٥. بناءً على ذلك، يمكن القول: إنَّ دراسة أفعال القلوب تشكل إسهامًا قيِّمًا لفهم اللغة العربية وتحليلها، وتمثل مجالًا مثيرًا للبحث والاستكشاف في مجال اللغويات.

وفي نهاية هذا البحث أوصي ببعض الأمور، منها:

١. زيادة الدراسات التطبيقية في القرآن الكريم: توجيه الجهود البحثية نحو تحليل أفعال القلوب في النصوص القرآنية بشكل أعمق.

٢. تطوير المناهج التعليمية: تعزيز المناهج لتشمل دراسة وتحليل أفعال القلوب تطبيقيًّا ودلاليًّا في النصوص الأدبية والقرآنية.

٣. توسيع نطاق البحث الدلالي والنحوي: دراسة تأثير السياق والعوامل النفسية والاجتماعية على دلالة أفعال القلوب.

٤. إجراء مقارنات بين اللغات: تحليل كيفية تعبير أفعال القلوب عن المعاني الدلالية في اللغات الأخرى لتعزيز الفهم اللغوي المشترك.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحْبه.

المصادر والمراجع

١. اتفاق المباني وافتراق المعاني، لسليمان بن بنين الدقيقي المصري، ت: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار – الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢. إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لابن قيم الحوزية، ت: محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف- الرياض، ط: الأولى، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

٣. الأصول في النحو، لابن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٤. الأضداد، لابن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الخامسة، ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.

٦. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط: الثانية، ١٤١٨هـ.

٧. ألفية ابن مالك، ت: عبد المحسن بن محمد القاسم، ط: الرابعة، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.

٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- صيدا – بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٩. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد الفاسي الصوفي، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي– القاهرة، ١٤١٩هـ.

١١. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، ت: محمد لإسكندراني، عدنان درويش، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، الناشر: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥– ١٤٢٢هـ= ١٩٦٥– ٢٠٠١م.

١٣. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، ت: السيد أحمد صقر، دار التراس، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

١٤. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

١٥. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام الأنصاري، ت: عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٦. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، ت: حسن هنداوي، دار القلم بدمشق (الأجزاء ١ – ٥) – دار كنوز إشبيليا بالرياض (الأجزاء ٦ – ٢٢)، ط: الأولى، (١٤١٨ – ١٤٤٥ هـ) = (١٩٩٧ – ٢٠٢٤ م).

١٧. التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري، ت: عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، ط: الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١٨. تفسير الألوسي = روح المعاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٩. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، ت: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٠. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢١. تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٢. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م

٢٣. تفسير الكشاف، للزمخشري، ت: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٤. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد أبي منصور الماتريدي، ت: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٥. التيسير في التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، ت: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، ط: الأولى، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

٢٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٧. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

٢٨. شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد السيرافي، ت: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.

٢٩. شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للأُشْمُوني، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨مـ.

٣٠. شرح التسهيل، لمحمد بدر الدين الدماميني، ت: محمد بن عبد الرحمن المفدى، ط: الأولى، ابتداء من عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣١. شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، ت: د. عبد الرحمن السيد – د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٣٢. شرح الرضي على الكافية، للرضي الإستراباذي، ت: يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: الأولى.

٣٣. شرح شذور الذهب، لشمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري القاهري الشافعي، ت: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٤م.

٣٤. شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي، ت: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة– القاهرة، ط: ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٥. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد لسيرافي، ت: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٦. شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٣٧. شرح المفصل، لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٣٩. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤٠. العدة في إعراب العمدة، لبدر الدين أبي محمد بن فرحون المدني، مكتب الهدي لتحقيق التراث، دار الإمام البخاري – الدوحة، ط: الأولى.

٤١. علل النحو، لابن الوراق، ت: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد– الرياض / السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٤٢. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٤٣. الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٤٤. الكناش في فني النحو والصرف، لعماد الدين إسماعيل بن علي، الملك المؤيد، ت: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.
٤٥. الكافية في علم النحو، لابن الحاجب، ت: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب– القاهرة، ط: الأولى، ٢٠١٠م.
٤٦. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الحنبلي الدمشقي النعماني، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٤٧. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٤٨. اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة، ١٩٨٥م.
٤٩. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط: الأولى، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.
٥٠. معجم المصطلحات الأدبيَّة، لإبراهيم فتحي: المؤسسة العَرَبِيَّة للناشرين المتحدين، تونس، د. ت.
٥١. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
٥٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، لأبي إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٥٣. معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٥٤. المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، ت: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٣م.

٥٥. المقتضب، للمبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب- بيروت.

٥٦. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للعيني، ت: علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٥٧. موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٩ هـ- ٢٠١٧م.

٥٨. لموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٠. الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.